المحاضرة الحادية عشرة

الحضارة العربية الإسلامية

النشأة : نشأت الحضارة العربية الإسلامية بظهور الإسلام وهجرة الرسول صلى الله عليه وسلّم إلى المدينة المنوّرة، فبعد أن دعا بني قومه إلى نبذ عبادة الأوثان والتفرّغ لعبادة الله الواحد اشتدّت الوطأة على المسلمين في مكّة فدعا الرسول صلى الله عليه وسلّم أصحابه للهجرة إلى المدينة حيث قامت أوّل دعائم الدولة الإسلامية بعد أن قام عليه الصلاة والسلام بإرساء قواعد المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وإحلال الوحدة الدينية محلّ الشعور القبلي، ثمّ إبرام عقود مع اليهود ليأمن شرّهم ومنحِ كلّ فرد حرّية اختيار الدين وحرّية الرأي ...

ثمّ انتقل الرسول صلى الله عليه وسلّم بعد ذلك إلى وضع الأسس العامّة للسياسة الشرعية وتشريع القوانين جاعلا من القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة دستورا لها.

الآداب : عن الجاهلية أخذ المفكّرون العرب بعد الإسلام فنون الأدب، وخاصّة الخطابة والشعر.

أ- **الخطابة** : وقد كانت السبّاقة في الارتقاء بعد الإسلام، فقد كان العرب المسلمون في أمسّ الحاجة إليها في ميادين كثيرة منها : الصلاة -الفتوحات- قمع الاضطرابات ... فالخطيب هو الذي يستنهض الهمم، ويجمع الكلمة ويُرهب الأعداء ...

ب- **الشعر** : بعد ظهور الإسلام انشغل الناس بالفتح لنشر الدين الجديد، وكما انصرفت قرائحهم إلى الخطابة لحاجتهم إليها، فقد كان الشعر أيضا من الوسائل التي استخدموها في الدعاية للإسلام (زهير، كعب ...) ...

أضف إلى ذلك ما كان بعض الخلفاء والأمراء ينفقونه على بعض الشعراء من أموال طائلة ليقرّبوهم إليهم رغبة في الدعاية لهم والانتقاص من شأن مخالفيهم وهجائهم (الأخطل، جرير، الفرزدق ...).

هذا، وقد ظهرت في الحجاز مدرسة انشغلت بالشعر الغنائي الغزلي بعيدا عن الصراعات السياسية والتحزّبية (عمر بن أبي ربيعة الإباحي، جميل بثينة العذري ...).

أمّا في العصر الأموي فقد جرت أوّل محاولة لجمع الشعر الجاهلي قام بها "حماة الرواية"، وخاصّة منها ما عُرف بالمعلّقات، وكان ذلك في عهد الوليد بن يزيد.

وعند قيام الدولة العبّاسية حاول المنصور إهمال الشعراء، فتحوّلوا عن العبّاسيين لنصرة العلويين، الأمر الذي اضطرّ الخلفاء من بعده أن يسترضوا الشعراء ويُجْزِلوا لهم العطاء، ولذلك تزاحم الشعراء على باب المهدي والرشيد والمأمون، فنبغ منهم بشّار بن برد وأبو نوّاس وأبو العتاهية.

ثمّ ضعف أمر الشعراء بعد تزايد النفوذ الفارسي والتركي في البلاط العبّاسي، لأنّ الشعر من الفنون العربية، لكنْ سرعان ما قامت الدولة الحمدانية في حلب فأعادت للشعر مكانته ورونقه، فتزاحم الشعراء على باب سيف الدولة الذي أجزل لهم العطاء، وكان من أبرزهم : المتنبّي وأبو فراس وأبو العلاء ...

أمّا في الأندلس فقد تحرّر الشعر من قيود التقليد، فجاء مهذّبا في مناحيه وفنونه، فنشأت فيه أوزان جديدة، أبرزها (الموشّح والزجل)، ومن أبرز شعراء الأندلس : ابن عبد ربّه، ابن حزم، ابن الخطيب، ابن زيدون، ابن خفاجة ، وغيرهم ...

ج- **النثر** : لم يكن عرب الحجاز يجيدون الكتابة في جاهليتهم فاهتمّوا أكثر بالشعر ينشده أصحابه فيحفظه الحفّاظون ويروونه عنهم. وعندما نزل القرآن الكريم صار مثال البلاغة والفصاحة عند

العـرب، ونموذجـا يحتـذى، فـزاد اهتمـام العـرب حينهـا بالكتابـة، وجـاءت عبـاراتهم بليغـة وكلمـاتهم فصـيحة خصوصـا بعـد أن تـزوّدت بكـلّ مـا جـادت بـه قـرائح علمـاء اللغـة مـن قواعـد فـي النحـو والصرف والمعاني والبيان، فتجلّت عبقرية العرب النثرية في كتابة الرسائل ووضع الكتب.

الفنـون : لقـد كانـت الفتوحـات سـببا مهمّـا دفـع العربـيّ إلـى الاسـتعانة بخبـرات الشـعوب الأخـرى فـي ميـدان الفنـون، وعنـدما أطـلّ القـرن الثـاني مـن الحكـم الإسـلامي كـان العـرب قـد برعـوا فـي اقتبـاس الفنـون وعـدّلوها بما يتّفق وطبيعة بلادهم وتقاليدهم وتعاليم دينهم، ومن أهمّ ما برز فيه العرب المسلمون من ذلك ما يأتي:

فنّ العمارة : ويتجلّى ذلك في المساكن والقصور والمساجد، بل وفي المدن والأمصار.

المسـاكن : وقـد شـيّد العـرب العديـد مـن القصـور والمبـاني، واسـتخدموا فـي بنائهـا الحجـارة أحيانـا، والطين والآجر في معظم الأحيان، ولذلك فقد أتى الزمن على معظمها.
وقـد كانـت مسـاكن الفقـراء فـي غالبهـا مسـتطيلة الشـكل مبنيـة مـن اللَّـبِن والطـين، سـقفها خلـيط مـن طـين وأغصـان وقـشّ، أمّـا الأغنيـاء فقـد كانـت منـازلهم تشـتمل علـى فنـاء داخلـي مكشـوف، وشـجرة فـي بعـض الأحيـان، ويتضـمّن فـي الغالـب طائفـة مـن العُمُـد الخشـبية ورواقـا مسـقوفا بـين الفنـاء والحجـرات. ونـادرا مـا كانـت البيـوت تُطِـلّ علـى الشـارع، وكـان لأكثرهـا أبـواب سـرّية وأجنحـة خاصّة بالنساء.
المسـاجد : أوّل مـا كـان يفعلـه المسـلمون هـو بنـاء المسـجد بـالقرب مـن سـوق المدينـة لِيُتـاح للجميـع الوصـول إليـه بِيُسـر، ولـم يكـن يميّـزه مـن جانبـه الخـارجي عـن غيـره مـن المسـاكن إلّا واجهتـه الأماميـة ومئذنتـه. وقـد كـان المسـجد يتـألّف مـن بهـو ربـاعي الشـكل يتّسـع للمصـلّين فـي وسـطه حوض ونافورة ماء للوضوء.

الفلسـفة : قـرأ العـرب الفلسـفة فـي كتـب أفلاطـون وأرسـطو وفـي الشـروحات والآراء التـي أضـيفت إليهـا مـن المفكّـرين اليونـان فيمـا بعـد. ثـمّ أخضـعوها بعـد ذلـك للـدرس والتلخـيص مـن الشـوائب حتّـى يحقّقـوا بعـض التوافقـات -مـا أمكـن- بـين تلـك الفلسـفات ومـا يتّفـق ومبـادئ الـدين الإسـلامي الحنيـف، وقـد جسّـد المعتزلـة ذلـك فـي عهـد الخليفـة المنصـور واسـتمرّت أفكـارهم كـذلك إلـى عهـد هـارون الرشـيد ثـمّ المعتصـم والواثـق، إلّا أنّـه لمّـا انتقلـت الخلافـة إلـى المتوكّـل سـنة 847 م نقـض سياسـة أسـلافه ولاحـق المعتزلـة ونكّـل بهـم وسـنّ قانونـا يحـتّم القـول بأزليّـة القـرآن الكـريم وأنّـه لـيس مخلوقـا، ثـمّ قامـت جماعـة مـن السـنّيين (المتكلّمـون) تقـول بتحكـيم العقـل والمنطـق فـي إثبـات العقائـد، ثـمّ خبـت موجـة الفلسـفة فـي بغـداد إلـى أن جـاء سـيف الدولـة الحمـداني الـذي تعهّد برعاية الفارابي الذي وضع 39 كتابا في الفلسفة والعلوم.

ثـمّ أنشـأ جماعـة "جمعيـة اخـوان الصـفاء" التـي أرادت التجديـد مـن خـلال المـزج بـين الفلسـفتين اليونانيـة والمسـيحية وبـين التصـوّف الإسـلامي، وقـد ظهـر أثـر ذلـك -بعـدها- عنـد الغزالـي وابـن رشـد والمعـرّي وابـن سينا الذي فصّل نزعته الفلسفية في كتابيه "الشفاء" و"النجاة" ...